الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ : ٨ مارس ٢٠٠٥

# حزب الله.. لمن يكون الآن؟

مشاري الذايدي

لبنان على صفيح ساخن، ودم الحريري بث رعشة الحياة في واقع لبنان المعلق على خشبة التسويات المؤقتة والصيغ العابرة. هناك شيء بدأ في هذا البلد ولن ينتهي حتى يصل غايته.

كان هذا البلد مختلفا في كل شيء لأنه لم يكن بلدا مستقلا تماما، كانت سوريا تحكم بشكل غير مباشر، لم يكن بلدا في وضع سلمي تماما، فجزء منه يحارب، وجزء منه يحارب الحرب! كانت فيه عمامة حزب الله وبذلات وأطقم القوى المدنية الانيقة. كان فيه المسالم رفيق الحريري والمحارب حسن نصر الله، كان فيه رخاء ونعومة تنبث على طرقات وساحات «السوليدير» وسط بيروت، وكان فيه بؤس ورثاثة المخيمات الفلسطينية. كان فيه وكان....

لم يكن احد يملك القدرة على إنهاء هذا النوسان بين هذه المواقع المتناقضة.

بيد أن الابرز في هذا المشهد كله كان «حزب الله»، الوجه الاصولي الشيعي في لبنان، هذا الحزب كان هو الاستجابة اللبنانية للريح الاصولية التي عمت العالم الإسلامي بعيد ثورة الخميني الاسلامية في إيران.

وبداية يجب القول إن حزب الله يمثل ظاهرة فريدة باقية منذ زمن الحرب الاهلية التي اندلعت في لبنان من 1975 الى مشارف التسعينات، من القرن الفائت، فهو القوة الوحيدة التي بقيت محتفظة بسلاحها، لا بل وزاد ونما، فكل اطراف تلك الحرب قد بدلوا جلودهم، وألقوا سلاحهم، ودخلوا في عصر جديد.

الآن هناك قرار مجلس الأمن 1559 القاضي بتحرير لبنان من هيمنة سوريا وتجريد كل الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية من سلاحها، أي سلاح فلسطيني المخيمات وحزب الله. لكن السيد نصر الله يرى ان حزبه ليس ميليشيا، ويقول ان الدولة ترى ذلك معه، وبالتالي فهو يرى ان القرار لا ينطبق عليه، او للدقة يجب ان لا ينطبق عليه. حتى وليد جنبلاط زعيم المعارضة قال انه سيعارض نزع سلاح حزب الله! وهنا تختلط السياسة بالتكتيك، وبالخوف من التخوين، عبر تأنيس حزب الله المقدس بسبب من حربه لاسرائيل! قصة معقدة ومشوشة...

لنعد لهذا الحزب الظاهرة، الذي تبدأ إشكاليته من اسمه المنطوي على تفويض إلهي «حزب الله»، ولا تنتهي عند صعوده بفعل المقاومة الدنيوي الى مصاف الوظيفة الدينية الخالدة المتجاوزة لتفاصيل الحياة الدنيا... الحزب أسس كتنظيم سياسي لبناني في عام ,1985 تحت عنوان مقاومة الاجتياح والاحتلال الاسرائيلي. لكن نشأة الحزب الاصولي الشيعي تعود الى صيرورة ابعد من حصرها بوظيفة المقاومة الخالصة للاحتلال.

فعام 1982، الذي اجتاحت فيه إسرائيل لبنان، هو «المنعطف الذي سرع في بلورة وبروز حزب الله كحركة جهادية منخرطة في عملية صراع مباشر معقدة وطويلة مع الجيش الإسرائيلي»، هذا الغزو شكل مع اشياء اخرى مدخلاً هاماً لبلورة هوية حزب الله الجهادية العقائدية ضد إسرائيل. هوية حزب الله العقائدية الاصولية لا تخطئها العين ابدا، وكونه امتدادا عضويا وفكريا واجتماعيا ايضا للاصولية الايرانية الحاكمة، فهذه ايضا حقيقة ملموسة. بل إن اعضاء كثيرا من حزب الله، ومن مختلف المستويات، يقرون بهذه العلاقة والتماثل بين النموذج الايراني المثالي وبين الحزب . ففي إحدى المناسبات اللبنانية في شهر مارس من سنة 1997 قال الناطق باسم حزب الله إبراهيم الأمين حينها: «نحن لا نقول إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران». كما ذكرت ذلك جريدة النهار حينها.

وحسن نصر الله، امين عام الحزب قال في مجلة المقاومة لسان حال الذراع العسكرية للحزب: «إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

بالإسلام والدولة التي تناصر المسلمين والعرب. وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما إن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا» ( مجلة المقاومة، العدد 27، ص 15 و16، حسب رصد الباحث عبد المنعم شفيق). هوية الحزب عقائدية في نهاية المطاف، وهو يطمح الى تحقيق «الثورة الاسلامية في لبنان» ما دام أن النموذج المحتذى ايران التي هي، بشكل خاص، من يحكم بالاسلام حسب تزكية الشيخ حسن نصر الله.

وهناك دلالة اكثر انصبابا على التشكيل الاصولي للحزب، لاحظها بعض الباحثين تتمثل في تشخيص الغاية الاصولية للحزب، فعبارة (الثورة الإسلامية في لبنان) هي آخر ما تقرؤه على علم (حزب الله) في لبنان. والثورة بهذا الوصف محاولة استنساخ للثورة الأم في قم وكلتاهما ثورة آيات»، حسب عبد المنعم شفيق.

حزب الله لم يكن مجرد مردد للشعارات الاصولية، شان بقية القوى الاصولية أكانت سنية أو شيعية في العالم الاسلامي، بل سعى على الارض وقام بانجازات ضخمة وناجحة بكل المقاييس، فهذا الحزب الذي بدأ مجرد مجاميع مقاومة، أضحى «مؤسسة» كاملة، له قواعد اجتماعية راسخة، وحققت خدمات خيرية وتكافلية على مستويات الطبابة والتعليم وتوفير فرص العمل، بالاضافة الى رعاية وكفالة اسر مقاتليها او شهدائها، والجرحى... الخ، هذه الفعالية والحضور الدائم والمتنوع صعد بالحزب، في ظل هزال الدولة، الى دولة داخل الدولة، او على حد تعبير الباحث اللبناني وضاح شرارة، «دولة حزب الله» كما اسماه في كتابه الذي حمل هذا العنوان.

ثم انخرط الحزب في العمل السياسي ودخل التجربة النيابية عبر كتلة الوفاء، وأصبح رقما صعبا في الحرب والسلام، ففي المجلس النيابي في عام 2003 كان لحزب الله ثمانية نواب.

حزب الله كان مدعوما بشكل واضح من ملالي ايران وسوريا بكل الاشكال.

حسنا، تغيرت اللعبة الان، اسرائيل انسحبت من جنوب لبنان، دعك من الحديث عن مزارع شبعا فهي مجرد مبرر لبقاء المعادلة كما هي، وحتى حسن نصر الله قال انه يتوقع انسحابا قريبا لإسرائيل منها، لكنه لن يسحب السلاح! وسيرفض قرار مجلس الأمن 1559 الذي قبلته سوريا وبموجبه، ستخرج من لبنان عاجلا مع الاتكاء على اتفاق الطائف كمبرر آخر للخروج، غير ان للسيد نصر الله رأيا آخر، يخالف فيه رأي بقية القوى اللبنانية التي ما زالت تظهر احتراما فائقا لشخصه ولحزبه ولانجازه المتمثل بتحرير الجنوب.

لكن هل يستمر الامر كذلك اذا قرر نصر الله مواجهة استحقاقات هذه المرحلة ومحاربة مجلس الامن، بحجة انه قرار غير عادل، وان المقاومة ستبقى (مقاومة ضد من الآن؟!).

الذي نحذر منه أنه بعد الموقف المتشدد الذي اتخذه حزب الله، وبعد شروعه في تجييش شارعه ضد شارع ساحة الشهداء، وبعد لمزه الخفي من ضالة خصومه اللبنانيين وضالة شارعهم، ان يحصل ما يحذر منه الجميع، وتنزع هالة التوقير التي ما زال اللبنانيون يحتفظون بها لرجل المقاومة في لبنان، الذي ورغم اصوليته الظاهرة، الا انه نجح في توحيد اللبنانيين خلف مقاومته الرائعة، واصبح عامل توحيد، ظاهريا على الاقل، فهل يصبح الآن عامل انقسام؟!

الأمور تقود الى هذه الوجهة، وعندها سيسجل التاريخ أن حسن نصر الله نجح بوصفه «بطلا» لمرحلتين، الاتحاد والانقسام... ليست المشكلة في دهاء وذكاء «السيد» ولكن المشكلة تكمن حين يكون الخيار بين مقتضيات العقيدة وحقوق الوطن... الذي كان نصر الله وحزبه يوما ما من المدافعين عنه بالدم...

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية